

## الصورة الحسية في شعر العناياتي النابلسي (ت ١٠١٤ هجرية)

أ.م.د: اسراء خليل فياض  
أ.د: زينب فاضل احمد  
كلية التربية / الجامعة المستنصرية

## الملخص

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين .

نتحدث في بحثنا هذا عن شاعر يمتاز بثرائه الشعري ونفسه الشعري المستفيض والذي تجسد من خلال شعره الذي حققه الدكتور مشهور الحبازي ، وقد وجدنا من خلال قراءتنا لديوانه انه امتاز بتوليد الصور الحسية في خيال واحساس شعري متدفق ينسجم والسياق القولي ، وقد جاء البحث بمقدمة وثلاثة محاور ، وخاتمة ، وفهرس لهوامش البحث ومصادره ، جاء المحور الاول بعنوان (حياة الشاعر وعصره) ، وكان المحور الثاني بعنوان (مفهوم الصورة الحسية) ، وكان المحور الثالث بعنوان (تطبيقات الصورة الحسية عند النابلسي) ، وجاءت الخاتمة لتبين اهم النتائج البحثية التي خلصنا اليها . ووضحنا من خلال الحديث عن حياته اثر التكوين البيئي والاجتماعي في الابداع التصويري الحسي في شعر النابلسي ، فكانت البيئة بطروفيها المختلفة احدى المصادر المهمة والاساسية من مصادر الابداع التصويري الشاخص في شعره بمختلف اغراضه .

التعريف بالشاعر :

هو شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد عبد الكريم النابلسي ، اصله من مدينة (نابلس) من فلسطين سمي بالعناياتي نسبة لوالده ١ . وينتمي العناياتي إلى أسرة نابلسية كانت غير مستقرة متنقلة بين البلاد . اما امه فهي من مكة المكرمة . وهناك ولد العناياتي في مكة المكرمة سنة (٩٣٦هـ) فنشأ وترعرع في كنف أخواله بني فهد ، وتلقى علومه الأولى على أدياء عصره ، وقد أخذ الكثير عن خاله العالم الجليل عبد الرحمن بن فهد المكي . فعاش العناياتي حياة هادئة مستقرة .

كان العناياتي كثير الترحال والسفر في عدة بلاد شامية . اذ تنقل بادئ حياته فزار حلب وطرابلس ودمشق والقدس وحماة وحمص والمعرّة وصفد وغزة ، فقد ذاع صيته في أواخر القرن العاشر الهجري وأوائل القرن الحادي عشر الهجري . و وسط عشقه للترحال وجد بمدينة دمشق مستقره وموطنه

ومسكنه له وسكن بمسجد هشام بن عبد الملك وسكن فيه رداً من الزمن. ثم انتقل إلى المدرسة البادرانية وعاش فيها حتى وفاته سنة (١٠١٤هـ).<sup>٢</sup>

لم يتزوج الشاعر العناني في حياته، فقد انصرف عن تلك الحياة الاجتماعية وحيداً، قانعاً، مكتفياً من الطعام بالزاد القليل، والملبس الخشن، في حال يشابه الزهاد والمتصوفة في مسلكتهم.

و للعناني ديوان شعر كبير فيه<sup>٣</sup>، اغراض شعرية، فهو مبدع صاحب قريحة شعرية متميزة، نظم قصائد ومقطوعات تتوزع أغراضها بين المديح والهجاء والرثاء والغزل وبعض من الشعر الشعبي<sup>٤</sup>.

وكان مديحه شاملاً للكبير والصغير والمأمور والأمير، إذا أراد مدح أحدهم يرسل ثناءه له مع أحد أتباعه متمنياً عليه أن يرسل له شيئاً مما تجود به نفسه من مال دون أن يطلب منه. أما امداحه السياسية تمازجت بين ملوك والسلاطين من الدولة العثمانية عاصرهم، امثال السلطان محمد خان وسليمان خان وأحمد خان الثاني والسلطان مصطفى خان الثاني. فضلاً عن ذلك له شكوى شعرية، في وصف احواله، ومعاناته<sup>٥</sup>. اما غزله، فشاعرنا نظم شعراً جميلاً في الغزل والحب، فهو محب للجمال وتغزل بالفاتنات في قصائد نثرية وشعرية متعددة.

الصور الحسية:

و للعناني خط جميل، فقد تعلم رسم الخط العربي، فاصبح خطاطاً جيداً، بتغنى بخطه شعراً، كقوله<sup>٦</sup>:

زاد خطي وقل حظي فمن لي      نقلُ نقطٍ من فوق خاءٍ لطاءٍ  
و بشعري الغالي ترخص سغري      وبطبّ الفنون مت بدائي

عول العناني بالجناس ما بين (خطي-حظي، خاء -طاء، شعري-سغري) والتضاد بـ(زاد-قل، غالي-رخيص، طب-داء) ومزاوجتهما في رسم أمنية لجعل حظه جميلاً كخطه.

وكما قلنا ان العناني اشتهر من بين شعراء عصره في نظم الاغراض الشعرية والنثرية معاً، كالمديح والغزل والرثاء والهجاء والوصف وكتب في المواليا والزجل والسلسلة والاراجيز المزدوجة و نحى بشعره بالاتجاه الشعبي، و بلغ شعره مرتبةً عالية، طرزه بالمعاني البديعة الجميلة، ففي شعره غلبت المحسنات اللفظية والبديعية، ولامس الخيال اشعاره في صور جميلة، حتى باتت صورته في مدلولها الفني والحسي من ابرز ما يميز شعره. لذا انصب البحث في بيان تلك الجوانب من خلال انتقاء بعض النماذج الشعرية المميزة وتحليلها موضوعياً وفنياً.

وبما ان نابلس مدينته التي عاش فيها مع أسرته، و تلقى العلم والأدب على والده الذي درس في جوامعها، لذا كان شعره فيها من اجمل الاشعار، اذيقول مناديا، مستوقفا الركب الى تلك البلاد في شوق وحنين<sup>٧</sup>:

أَيُّهَا الْغَادِي عَلَى نَابِلَسْ	جَنَّتْ خَيْرَ الْأَرْضِ وَالنَّاسِ الْكِرَامَا
بِلَدَةٍ طَيِّبَةٍ قَدْ حَسُنَتْ	لَوْفُودٍ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامَا
جَمَلَاهَا جَبَلَاهَا فَغَدَتْ	شِمَمًا تَعْلُو ثَبِيرًا وَشَمَامَا
نَعَمْ أَرْضُ الْخَصْبِ وَالْخَيْرِ إِذَا	بَكَرَ الْعَارِضُ تَحْدُوهُ النَّعَامِي
بُورِكَتْ أَرْضًا وَلَا زَالَ بِهَا	تَتَوَالَى السُّحْبُ وَجَدًّا وَغَرَامَا

فالابيات الشعرية انسلت كالروض النضير، كونها طُرزت بالبديعيات، فرسم جمالية تلك البلاد بصور حسية تعتمد الذوق والشم ولمسية ممزوجة في مشهدية الخير والنماء والخضرة، معولا اسلوب المدح بـ(نعم) في ابراز شيم اهلها ومن سكنها والاستعارة في عشق السحاب في تواجدها المستمر في سماءها.

ان معاني البديع الانيق قد برزت في ثنايا شعر العنايةي، حتى بلغ بشعره مرتبة عالية في التأنيق والاسبوي الرفيع في التعبير مقارنة بشعر معاصريه من الشعراء، وفي فخره الذاتي زينت ألوان البديع النص، اذ تلاطمت صور الجناس الموسيقي، لتكون ركيزة ذلك الاحساس بالفخر والانتماء لأحواله من آل مكية، بقوله<sup>٨</sup>:

هذا وقد أنجبتني سادة نجب	من كل منتخب ينميهِ منتخب
جمال أيامهم كانوا وذكرهم	جمال أيامنا، سل تنبك الكتب
من آل مكية أهل الفتوة والد	فتوى تلقاهم منهم أب فأب

فما بين (أنجبتني-نجب، منتخب-منتخب) يستمد العنايةي جذور موطنه والذكر الجميل في تجانس (جمال أيامهم-جمال أيامنا) في صورة سمعية (الذكر، سل) فهو لم يكن معزولا عن قضاياهم في الحياة العلم والادب، مستندة بـ( الفتوة-الفتوى، أب-فأب) عمق الاحساس بتجربته الأدبية والفخر بها.

وترتمي عباءة آل مكية على اكتاف تجربته الشعرية، عندما يمضي مفتخرا بأنسابه لهم، فهم نعم الأخوال، اذ يقول<sup>٩</sup>:

### بناء العلا أبناء مكية الألى بهم كان سوق العلم والجود قائما

فالصورة الجناسية خدمت رؤية الشاعر بـ(بناء-أبناء) في رفعة طرحتها الصورة الاستعارية (سوق العلم). بيد ان الفخر لدى العناية، قد ابتعد عن ظلال ال مكية الى الفخر بتجربته الشعرية، التي وجد بها حظا متدنيا، بقوله<sup>١٠</sup>:

### فمن يكن دأبه فخرا بذكر أب وفضل مال ففخري الفقر والأدب

اذ تتصهر الصورة الجناسية في (فخرا-فخري، أب-الأدب) لبيان اختفاء مظاهر الفخر بما ورث بأبائه، بصورة طباقية (مال-فقر) تظهر ضيق العيش والفقر الذي انسحب من نتاجه الشعري، لتظهر صور الشكوى والالام في سرد احواله المعاشية المتردية، والتي دفعته لعدم التمتع بالحب والصبابة وصولا الى الزواج وبناء الاسرة، يقول<sup>١١</sup>:

إذا لم أعز فمن ذا يعز  
لبست من اليأس في الناس ثوباً  
و لم اعرف الذل إلا إذا كا  
و مثلي حرّ عبادة غناه  
و فقري وقتعي كنز و حرز  
عليه من الفضل والفضل طرز  
ن في الحب، والذل في الحب عزّ  
إذا أستعبد الناس خز ويز

اذ تبرز الاستعارة كمعول فني في رسم أحواله المتردية في (ثوب اليأس) ممزوجة بمتضادات لفظية ما بين (لم اعز-عز، فقر-كنز، الذل-العز، حر-استعبد) وهيمنة جناسية من ( أعز-يعز، الفضل-الفضل، الذل -الذل، في الحب-في الحب) تخلص صورته القانعة بالقليل من العطاء والجلباب الخشن.

لذا خرج العناية من مسرح الحياة الى قمقمة الانعزال فلم يتزوج، الا ان ديوانه رغم ذلك ضم اشعارا في الغزل واللوعة والصبابة، اذ فاق غزله جمال زهور الربيع، بحسن الصياغة والسبك اللفظي، فهو مدرك تماما لكل الأبعاد الوجدانية، ولاسيما مصيبة الحب وما يلامسها من الذل والهوان، لذا نجده مناديا مستفهما عن احوال الهوى ما بين حقوق و واجبات، بقوله<sup>١٢</sup>:

فيا مدعي العشق أين الشهود  
و أين الحنين و أين الأنين  
من الدمع والجسد المدنف  
و أين الوفاء لمن لا يفي

لقد سحب تكرار الاستفهام بـ(أين) المتلقي للأنتقاص صوب المحبوب الغادر، وقد بانته بواده بأجتماع الفاظ الحزن والحب معا، لرسم معاناة الشاعر المريرة فيه.

ان ما يميز شعر العناياتي تلك البلاغة الشعرية البارزة وحسن المعنى، لذا كان شعره غزير الصنعة، ولاسيما في غزلياته، فهو من اجل البوح اعتمد الصور المتضادة، في الكشف عن هوية محبوبه القاسي الجافي بحبه، والاستعارة بشراسة حربية لرسم تلك الصورة، في نفس شعري طويل، بقوله<sup>١٣</sup>:

أجاعة الهجر في الحب ديناً      إن لم تجودي بوصل عدينا  
بعينيك هذا السقام الذي      خفينا به فخفي الله فينا  
و قولي لأحافظك القاتلا      ت كم تفتكين أما تكتفيننا  
ظلمت القلوب أما تتقي      من ما يفعل الله بالظالمينا

لقد كشف التضاد اللفظي عن علاقات التناقض العشقي في (الهجر-الوصل، الدين-الجود، التقوى-الظلم) والتي أمتزجت بجرس موسيقي من جناسات اللفظ بـ (دينا-عدينا، خفينا-فخفي، تفتكين-تكتفيننا، ظلمت-بالظالمينا) وموسيقي القافية التي جعلت من (نا المتكلمين) ايقاعها لتكثيف العاطفة الفردية الى جماعية.

وتبرز قيمة الربط الفني البيعي في غزليات العناياتي، عندما يخاطب محبوبته مبررا ما سمعته من أخبار ملفقة عنه، بقوله<sup>١٤</sup>:

و أنا الذي لا ذنب لي، وللذتي      بالعفو عني قلت إني مذنب  
إن لم يكن ذنب فحلمك واجب      أو كان لي ذنب فعفوك أوجب  
و لقد صبرت على الشدائد كلها      إلا بعادك عنه صبري يعزب  
فأرجع وعد عود الكرام لعادة      عودتها فالأصل أصل طيب

لقد حصر العناياتي ادواته الفنية في دائرة الاعتراف، فأستشعر بالتضاد ( ذنب-عفو، يعزب صبري-صبرت) بيان حاله المضطرب الأليم مع ايقاع موسيقي ملائم ولدته الجناسات اللفظية في ( أنا-أني، ذنب-مذنب، واجب-واجب، صبرت-صبري، وعد-عود، عادة-عودة، الاصل-أصل). وتتسع قصائد الغزل للتعبير عن ذاتية الشاعر، في نصوص تلونت بعاطفة صادقة، ومن ذلك ما كتبه العناياتي لمحبوبته، اذ يقول<sup>١٥</sup>:

إن المحب عناؤه لا يبرح      في القرب والإبعاد فهو مبرح  
القلب بالشوق الشديد مجرح      والطرف بالدمع المديد مقرح  
قد كان جرح الصد منك نكاية      فأتى فراق بالذي هو أجرح

## ما أنت إلا الروح إن حجبت فما للجسم غير الروح شيء يصلح

فالنص حكاية أليمة لم يك بطلها سوى ذلك الواشي، والذي فتح المجال لاجتماع مشاعر متناقضة في الحب، فالألم بمجانسة ( يبرح-مبرح، الشديد-المديد، مجرح-مقرح، جرح-أجرح، الروح-الروح ) والحيرة والمرارة بالتضاد ( مبرح-لايبرح، القرب-البعاد، شوق-جرح، اتي- صد، الروح-غير الروح).

و نجد نصوصا غزلية أخرى للعناياتي تظهر فيها حرارته العاطفية، والنزعة الوجدانية، وظفها ضمن اتجاه شعبي، لمد جسور لفظية بينه وبين متلقيه من الفئات الشعبية، وقد عول بتكرار كلمة (خال) الى خلق ايقاعية موسيقية فضلا عن تنوع دلالتها الموضوعية، بقوله<sup>١٦</sup>:

يا ربة الخال كم ليلة بذات الخال      خطرت في خال يسبي كل من لو خال  
و الصب ما خال قلوب من وصالك خال      بالعم والخال أفدي فوق خدك خال

فالعناياتي يعي لدور كلمة (خال) ما بين ايقاع وفكرة، فقد صهر تغزله بالمحبه فيه ما بين صفات معنوية ومادية، فالخال هو البعد الجمال للشام في الوجه وللمكان والخلخال في القدم والصديق والاحوال في خلو البال .

ومن الغزل الى الرثاء في عملة وجدانية ذات وجهين، نجد له مراثيات جميلة لا تخلو من تلك الصور البديعية، كرتاء واحد من علماء الفلك أبي بكر الصهيووني، اذ يقول متحسرا<sup>١٧</sup>:

لهفي عليك أبا بكر إذا احتجب      الهلال للصوم، واحتاجوا إلى العدي  
قد كنت قمت بعلم النجم منفردا      بطالع فيه بالإسعاد مُنفرد

كثيرا ما شبه الشعراء مراثيهم بالاقمار في كل احوالها، ويبدو ان شاعرنا جعل صديقه واحد منها في قدسية عظيمة لمكانته، وحزن وتحسر ولهفة لفقده، فهو نجم اقل بعد ان جمع بين العلم والمعرفة وجمال الخلق والصفات ولأبراز هذا التمييز عول على الجناس ( منفردا-منفرد).

ويتقمص العناياتي دور الحكيم في رثائه لصديقه الصدوق مرة أخرى، فيميل الى التضاد في جذب تلك الموعظة وسط موسيقى ايقاع الجناس لشحن تلك العاطفة الجياشة نحو فقيده، بقوله<sup>١٨</sup>:

عز البقاء لغير الواحد الصمد      و ما ستواه فمدفوع إلى أمد  
فاعجب لمن عيشه ظن وموتته      حتم وتلقاه كالمسروب في البلد  
ما زلت في نكد من حين مر      على سمعي بأن خلق الإنسان في كبد  
و الناس في هذه الدنيا مآريهم شتى      و هم من سبيل الموت في جدد

اذ تصهر حكمة البقاء لله وحده، والفناء للبشر مشاعر الحزن والالام لدى الشاعر، مؤكدا وحدانية الله وتدبره، بالأقتباس القرآني بقوله تعالى ((لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ))<sup>١</sup> فضلا عن دعم فكرته بما يجمع متضادات الحياة ما بين (العيش - الموت، الدنيا - الموت) والجناس المتصدر في (صمد - امد) لتكون جزء من صورته السمعية في تتبع احوال الانسان في الدنيا او رحيله عنها مهما بقي.

### المصادر والمراجع

#### \* القرآن الكريم

- ١- الاعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، بيروت، ط ١١، دار العلم للملايين، ٨ اجزاء، ١٩٩٨.
  - ٢- تراجم الاعيان من ابناء الزمان، البوريني، الحسن بن محمد (ت ١٠٢٤)، تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، جزءان ١٩٥٩، ١٩٦٣.
  - ٣- معجم المؤلفين، تراجم مصنفى الكتب العربية، رضا كحالة، بيروت، دار احياء التراث العربي (د.ت)
  - ٤- تاريخ الادب العربي، كارل بروكلمان، المحقق عبد الحليم النجار، رمضان عبد التواب، (٦ مجلدات) الطبعة الخامسة - دار المعارف - مصر ١٩٧٧.
  - ٥- ديوان العناياتي النابلسي، احمد بن احمد العناياتي النابلسي (ت ١٠١٤هـ / ١٦٠٥م) دراسة وتحقيق د. مشهور الحبازي، دار الأمين للنشر والتوزيع، القدس، الطبعة الاولى - ٢٠١٠م.
  - ٦- خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر، المحبي، محمد أمين بن فضل الله (ت ١١١١) / القاهرة، المطبعة الوهيبية، ٤ اجزاء، ١٢٨٤هـ.
- الهوامش

<sup>١</sup> - ينظر: الاعلام : للزركلي: ٩٢/١، تراجم الاعيان البوريني: ١٠٨/١، معجم المؤلفين: رضا كحالة: ١٥٠/١

<sup>٢</sup> - ينظر: تاريخ الادب العربي: بروكلمان: ق ٨ ج ١٢ / ١٨

<sup>٣</sup> - ديوان العناياتي النابلسي، احمد بن احمد العناياتي النابلسي (ت ١٠١٤هـ / ١٦٠٥م) دراسة وتحقيق د. مشهور الحبازي، دار الأمين للنشر والتوزيع، القدس، الطبعة الاولى - ٢٠١٠م.

<sup>٤</sup> - ينظر: خلاصة الاثر: المحبي : ١ / ١٦٦



المؤتمر العلمي الدولي الحادي عشر

نيسان / ٢٠١٩

جامعة واسط

مجلة كلية التربية

٥- ينظر: تراجم الاعيان: ٩٣ / ١

٦- ديوانه: ١٩١

٧- ديوانه: ٢٧٠-٢٧١

٨- ديوان: ٩٠

٩- ديوانه: ٢٧٥

١٠- ديوانه: ٩٠

١١-ديوانه: ٩٩-١٠٠

١٢- ديوانه: ٤٣٩

١٣-ديوانه ٣٠٢

١٤ ديوانه: ٤٣٨

١٥- ديوانه: ٤٣٨-٤٣٩

١٦- ديوانه: ٣٨٧

١٧ ديوانه: ٥٥

١٨ ديوانه: ٤٥

١٩-سورة البلد: آية ٤